

الخراج في الموصل والجزيرة في العصر العباسي

١٣٢-٣٣٤هـ / ٧٤٩-٩٤٥م

د. احمد إسماعيل عبدالله الجبوري*

ملخص البحث:

يتناول البحث دراسة خراج الموصل والجزيرة في العصر العباسي (١٣٢هـ-٣٣٤هـ/٧٤٩-٩٤٥م)، وذلك لما للخراج من أهمية في استقرار الوضع السياسي والاقتصادي في البلاد ويتضمن البحث معنى الخراج لغة واصطلاحاً وأنواع الخراج مثل خراج المساحة وخراج المقاسمة، ونوع الأراضي في الموصل والجزيرة مثل الأراضي الخراجية والقطائع، وصاحب الخراج الذي كان يتولى جمع الخراج ويأتي بعد الوالي في الأهمية وخراج الموصل والجزيرة في العصر العباسي ومقداره في قوائم الخراج عند يعقوبي والجهشياري، مقدمة ابن خلدون، ابن خرداذبة، الصابي، الأزدي. ويتبين لنا من خلال الدراسة ان خراج الموصل والجزيرة كان كبيراً قياسياً الى اقاليم الدولة العربية الاسلامية الأخرى لما تتمتع به المنطقة من مساحات زراعية واسعة إضافة الى تنوع في زراعة مختلف المحاصيل والملاحظ ان واردات الخراج كانت تتأثر كثيراً في الوضع السياسي للدولة.

**Land –tax in Mosul and peninsula in the
Abbasid Era A.D. ٩٤٥-٧٤٩/ A.H. ٣٣٤-١٣٢**

Dr. Ahmad Ismaeel Abdullah

Abstract:

The research deals with the study of land-tax in Mosul and the peninsula, since it has a great importance in stabilizing the political and economical situation of the state. The research implies the meaning of land-tax linguistically and idiomatically, and the types of land-tax, such as: area, and share land-tax. It also implies the types of planting land in Mosul and the peninsula, such as: the taxed, tenth (i.e. the land from

* استاذ مساعد/ مركز دراسات الموصل

دراسات موصلية- العدد الخامس والعشرون- رجب ١٤٣٠هـ- تموز ٢٠٠٩م

which tenth is tasken) and sections. The man, who was responsible for collecting land-tax, comes after the ruler in importance. The sum of Mosul and the peninsula land-tax according to Al-yaqubi, Al-hrshawi, Qudama. Ibn-Khaldun, Ibn-Khidathibal-sabe. Al-Azdee, lists is tackled also in this study. Through the study of land-tax of Mosul and the peninsula, we found that, it was bigger in comparison with other regions of the Arab Islamic countries, because the region includes vast planting areas, which used to plant various types of summery and wintry crops. Finally, it was noticed that, the income of land-tax was so affected by the political situation of the state.

المقدمة

تتاول البحث دراسة خراج مدينة الموصل وأطرافها ومنطقة الجزيرة وللخراج أهمية كبرى في تاريخ الدولة العربية الإسلامية لما له من أهمية في استقرار الوضع السياسي والاقتصادي في البلاد، ويمكن القول أن أهميته مشابهة لثروة النفط في الوقت الحاضر. وتعدّ مدينة الموصل والجزيرة من المناطق الغنيّة بمواردها الزراعية في العصر العباسي بشكل خاص لما تحويه من مساحات زراعية واسعة ومنتجات مختلفة ومنها ما يسقى بالأمطار والأخرى بالآلات المعروفة في ذلك الوقت مثل الناعور والشادوف. وتزرع فيها مختلف المحاصيل الزراعية مثل الحنطة والشعير والذرة والقطن وقصب السكر والفواكه والخضراوات بأنواعها، وغالباً ما تنقذ الموصل العاصمة بغداد أثناء الأزمات السياسية والاقتصادية، وتبين لنا من خلال دراسة قوائم الخراج أن نسبة جباية هذه المنطقة عالية مقارنة بالمناطق الأخرى من العراق، ومن أجل الحفاظ على موارد هذه المنطقة اتخذت الدولة العباسية سياسة خاصة في الحفاظ على موارد هذه المنطقة والقضاء على كلّ الحركات السياسية التي كان زعمائها يسيطرون في الغالب على المناطق المحيطة بالموصل ويقومون بجباية خراجها مما يضعف موارد الدولة الأساسية.

أولاً. الخراج لغةً واصطلاحاً

تعددت الآراء حول أصول كلمة خراج -ضريبة الأرض- واستعمالاتها، وقد وردت في القرآن الكريم في موضعين الأول في قوله تعالى "أم تسألهم خراجاً- فخراج ربك خير" (١) والثاني في قوله تعالى "فهل نجعل لك خراجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً" (٢). ويرى بعض المفسرين أن الخراج والخرج شيء واحد بمعنى الأجر أو الرزق، فقد أوضح القرطبي في تفسيره كلمة خراجاً بأنها تعني أجراً (٣).

وأوضح الماوردي هذا الاختلاف بين الخراج والخرج فبيّن أن القسم الأول من الآية "أم تسألهم خرّجاً" يحتمل وجهين : أحدهما الأجر، والثاني النفع، والقسم الثاني "فخراج ربك خير" يحتمل قولين أيضاً : أحدهما الرزق والثاني الأجر في الآخرة^(٤).

ووردت لفظة خراج في الأحاديث النبوية الشريفة، فعن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله (ﷺ) "الخراج بالضمان" والمقصود بالخراج هنا المبيع إذا كان له دخل وغلّة، فمعنى قوله الخراج بالضمان هو تملك الخراج بضمان الأصل، فإذا ابتاع الرجل أرضاً فاشغلها أو ماشية فنتجها أو دابة فركبها أو عبداً فاستخدمه، ثم وجد به عيباً فله أن يرّد رقبة الملك ولا شيء عليه في ما انتفع به"^(٥).

واستعمل الرسول كلمة خرّج بمعنى الأجر، فقد ورد عن ابن عباس أن رسول الله (ﷺ) لم ينه عن المزارعة، ولكنه قال "لأن يمنح أحدكم أخاه خيراً له من أن يأخذ عنها خرّجاً معلوماً"^(٦)، هنا المقصود من الحديث هو يمنح اخاه أرضاً هبة بدلاً من ان يأخذ منه خراج.

وكذلك استعملها عليه الصلاة والسلام بمعنى الجزية المشتركة في كتابه لأهل نجران "فما زادت على الخراج أو نقصت عن الأواقي خالياً لحساب"^(٧). وظهر استعمال آخر للفظ خراج قريب من الضريبة والرسم فعن العلاء عمر بن الحضرمي قال "بعثني رسول الله (ﷺ) إلى البحرين وقال هجر، وكنت آتي الحائط بين الاخوة قد اسلم بعضهم فأخذ من المسلم العشر ومن المشرك الخراج، وهكذا شمل استعمال الرسول (ﷺ) كلمة خراج معاني جديدة أبرزها معنى ضريبة الرأس "الجزية"^(٨).

وفي زمن الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اضيفت إلى المعاني المذكورة معنى جديد وهو ضريبة الارض، فقد قال الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في معرض حديثه عن وقف الارض على المسلمين "وقد رأيت أن احبس الأرضين بعلوجها واضع عليهم الخراج وفي رقابهم الجزية يؤدونها فتكون فيئاً للمسلمين"^(٩).

ودرج هذا الاستعمال على لسان الفقهاء الذين افردوا أبواباً في كتبهم تتعلق بضريبة الأرض، فبيّن الإمام أبو يوسف أن كلمة خراج عند الفقهاء في عصره توازي الفيء بقوله "فأما الفيء يا أمير المؤمنين فهو الخراج عندنا"^(١٠). ولهذا استقر استعمال الخراج كضريبة للأرض لأهمية وارد الأرض عموماً فيقول الماوردي "وإما الخراج فهو ما وضع على أرقاب الأرض من حقوق تؤدي عنها"^(١١).

ثانياً. أنواع الخراج

يعدّ الخراج من الموارد الأساسية في الدولة ولقد عنيت السلطة بجبايته وفق شروط من أجل تحقيق العدالة عن دفع هذه الضريبة من قبل الفلاحين واتبعت الدولة لذلك ما يأتي:

المساحة

سارت جباية الخراج في الموصل والجزيرة على غرار ما كان يطبق في منطقة السواد أي تدفع الضريبة طبقاً للمساحة المزروعة ويسمى هذا بـ "خراج المساحة" أو الارض القابلة للزراعة ونوع المحصول وتكون الضريبة ثابتة حتى لا يكون مجالاً للتلاعب فيها، ما دامت مساحة الارض مضبوطة، ونجاح هذه الطريقة يتطلب بقاء الزراعة والاسعار ثابتة^(١٢)، وتتفق المصادر على الغرض من ادخال نظام خراج المساحة كان لانه ارفق بالناس او اصح لامرهم واقرب الى بيئتهم^(١٣) وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وضع على كل جريب^(١٤)، قفيزاً^(١٥) ودرهماً، ووضع بعد مسح الارض عليها الخراج على نوع المحصول من كل جريب من الكروم والشجر الملتف عشر دراهم، النخل ثمانية دراهم، قصب السكر ستة دراهم، الرطبة بخمسة دراهم، البر اربعة دراهم، الشعير درهمين^(١٦).

المقاسمة :

بعدها بدأ العمل في العراق والولايات التابعة للخلافة ومنها الموصل والجزيرة بنظام جديد يسمى بـ "خراج المقاسمة" بدأ العمل به في عهد الخليفة العباسي المهدي، ويتطلب ضبط مقدار المنتوج وضمان عدم تسربه بين الفلاحين والعمال^(١٧)، وقد ميز ابو يوسف في اقتراحه بادخال نظام المقاسمة بين ما يجب ان يفرض على الاراضي تبعاً لاساليب الري فيها، فاقترح ان يقاسم من عمل الحنطة والشعير من اهل السواد طبقاً على خمسين للسبح منه، او ان الدوالي^(١٨) فعلى خمس ونصف، واما النخل والكروم والرطب والبساتين فعلى الثلث واما غلال الصيف فعلى الربع^(١٩)، وبالربع فيما سقي بالدواليب^(٢٠) والنواضح^(٢١).

ثالثاً. نوع الأراضي في الموصل والجزيرة

١. الأراضي الخراجية

أرض الموصل والجزيرة لا تختلف عن أرض السواد من حيث أن كليهما فتح عنوة ورضي أهلها بفرض الخراج فكان ذلك كالعهد لهم فهم يدفعون الخراج عنها وعن القطائع فيها فهو ينطبق عليها قول الإمام أبي يوسف "أنّ ما افتتح عنوة فهو ارض الخراج"^(٢٢).

٢. القطائع

ذكر أبو يوسف (وكل أرض من أرض العراق والحجاز واليمن والطائف وأرض العرب وغيرها عامرة وليس لأحد ولا في يد أحد ولا ملك ولا وراثة ولا عليها أثر عمارة فأقطعها الإمام رجلاً، فإن كانت من أرض الخراج أدى عنها الذي أقطعها الخراج، وإن كانت من أرض العشر أدى عنها الذي أقطعها العشر، فكل أرض أقطعها الإمام فاقتحمت عنوة ففيها الخراج إلا أن يصيرها الإمام عشرية) (٢٣). ولم يشر أبو يوسف إلى أن أرض الموصل لها حكم خاص كالذي لأرض البصرة وخراسان (٢٤).

غير أن أحوال الزراعة في الموصل تختلف عن السواد من حيث أن الزراعة في السواد تعتمد بالدرجة الأولى على الأرواء من الأنهار، ولذلك عرف بعض الفقهاء أرض الخراج هي ما يسقى بماء الخراج (٢٥).

أما أرض الموصل فإن الزراعة في معظمها تعتمد على الأمطار ما عدا بعض المناطق التي في أطراف الأنهار حيث تعتمد على وسائل ري خاصة، ولهذا ذكر أبو يوسف (أن القطن ما كان فيها سلماً فعلى العشر وما سقى منها بالدلو والغرب والسانية فنصف العشر لمؤنة الدالية والغرب والسانية من العشر ما تسقى سيماً أو تسقيه السما) (٢٦) ولا بد أن هذا ينطبق على أرض الموصل من حيث أن حكم الأراضي التي تسقى بالمطر هو كحكم ما يسقى سيماً (٢٧).

بدأ الإقطاع في الجزيرة عندما فتح العرب رأس العين (٢٨)، وحين جلا عنها خلق من أهلها فاعتمد العرب أرضهم وزرعوها بإقطاع، وقد شجع الخليفة عثمان بين عفان (رضي الله عنه) العرب على امتحان الزراعة بطريقة الإقطاع، فقد أمر معاوية بن أبي سفيان واليه على الشام والجزيرة أن ينزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى ويؤذن لهم في زراعة واستصلاح الأرض (٢٩).

وأقطع معاوية في خلافته بعض بني أخوته قطائع في الجزيرة وكانت سبخة واقطع أيضاً عدد من الأشخاص الذين وفدوا إليه من الحجاز قطائع في نصيبين (٣٠). وأخذ ما كانت للملوك من الضياع لنفسه خالصة واقطعها أهل بيته وخاصته (٣١).

وكذلك أقطع بعض الفلاحين في بلد وديار ربيعة (٣٢)، ومن الخلفاء الأمويين الذين امتلكوا إقطاعات كبيرة في الجزيرة هشام بن عبد الملك، وكانت له أرض في الموصل،

وتحولت هذه الإقطاعات بعدها إلى الخلفاء العباسيين، وكانت تسمى بأرض الصوافي وانشأ لها ديوان خاص يسمى "ديوان الصوافي" (٣٣).

رابعاً. صاحب الخراج

كان على رأس ولاية الموصل والجزيرة اثنان الوالي العامل ويسمى الأخير "صاحب الخراج"، حيث أن واجبه الرئيس هو حمل الخراج من الولاية إلى خزانة الدولة في العاصمة، وكان هو متولي الإنفاق على مرافق الولاية العامة كانت تتولى نفقات حاضرة الخلافة العامة (٣٤).

ولم يكن والي الموصل يرسل ربع الخراج إلى بغداد دائماً، بل يحتفظ به أو بجزء منه ليعينه على حرب الخوارج، وهذا ما فعله والي الموصل موسى بن مصعب سنة (١٥٧هـ/٧٧٣م) فقد أجاب الخليفة بأنه يحتاج إلى المال لان البلد كثير الخوارج وأعدتها للرجال متى احتجت إلى محاربة خارجي (٣٥).

وفي بعض الأحيان تعتمد الدولة في تقدير الضرائب على القضاة لإضفاء مزيد من الشرعية على أمور الجباية، حيث يذكر الأزدي أن الحارث بن الجارود تولى قضاء الموصل مع خراجها في عهد الخليفة أبو جعفر المنصور سنة (١٤٧هـ/٧٦٤م)، وهو فقيه ومحدث روى عن الزهري وقتادة والمعافي بن عمران وعفيف بن سالم، وولّى بعده بكار بن شريح الخولاني على الموصل وأعمالها (٣٧).

وهناك دار خاصة لصاحب الخراج تسمى بـ "دار الخراج" يجلس فيها صاحب الخراج وأحياناً الوالي نفسه عندما يكون مسؤولاً عن الخراج، وهذا ما حدث سنة (١٨١هـ/٨٢٨م) عندما كان الوالي يحيى بن سعيد الحرشي الذي اغلق الدار حتى أحصر اللصوص (٣٤).

خامساً. خراج الموصل والجزيرة

يذكر أن خراج ولاية الموصل كان في أوائل الفتح الإسلامي نزرأ تافهاً حتى نهاية القرن الثالث الهجري، حيث اخذ العرب ينزحون إليها جماعات كثيرة فيقطنونها وعمروها، وزرعوا أراضيها الفيضانية التي كانت جرداء لا نبات فيها فكثر خراجها وأصبحت من الموارد الرئيسية للخزينة العامة (٣٨).

وفي العصر العباسي كان خراج الموصل والجزيرة كبير مقارنة بالمدن العراقية الاخرى، حيث يذكر المقدسي "إن الجزيرة والموصل كانت منها اكثر ميرة العراق" (٣٩).

وفي بداية العصر العباسي وفي عهد الخليفة أبو العباس السفّاح (١٣٢-١٣٦هـ/٧٤٩-٧٥٣م) وبسبب قتل آلاف من أهل الموصل أثناء ثورتها على الخلافة العبّاسية فإن أعمالها مضطربة وعمارته ناقصة ولم تعمّر أسواقها ثلاث سنين والوالي عليها وعلى أعمالها عمّ الخليفة أبو العبّاس السفّاح إسماعيل بن علي الذي بقي عليها إلى سنة (١٤٢هـ/٧٥٩م)، وبالتالي فمن الطبيعي أن ينقص خراجها ومواردها الأخرى بسبب ذلك(٤٠).

وقام الخليفة أبو جعفر المنصور (١٣٦-١٥٨هـ/٧٥٣-٧٧٤م) بعدة إجراءات في الموصل والجزيرة من أجل السيطرة على جباية ضريبة الخراج، فقام بإرسال مسّاحين لمسح الأرض وتعديل الضريبة عليها، والظاهر في التعديل هو إنصاف دافعي الضرائب والتخفيف عن كاهلهم(٤١).

ونلاحظ أن النقص في الخراج ناتج عن الاضطرابات السياسية والاقتصادية فيها وظهور حركات المتغلبين على الدولة الذي غالباً ما كانوا يقومون هم بجباية الخراج ويمنعون وصوله إلى الدولة والعاصمة بغداد، وهذا ما حدث سنة (١٧٥هـ/٨٢٢م)، حيث يذكر الازدي انه فيها كسر خراج الموصل، وكان يجبي فيها من البرية عشراً، وما كان بنيوي والمرج وما بينهما مرابحة يؤخذ من أهلها الربع(٤٢).

وكان الخوارج تخرج ضد الدولة فلا يصل إليها من الخراج إلا أقل من الربع، فإذا طالبت الدولة الفلاحين بالخراج احتجوا بأن الخوارج قد جبهه منهم(٤٣).

ولهذا نجد أن الخليفة هارون الرشيد حاول معالجة هذه المسألة وحذّر الفلاحين من مغبة الاحتيال على الدولة والتهرب من دفع الخراج خاصة وأن المنطقة تعد من المناطق الغنية بمواردها الزراعية، واجتمع بعدد من زعماء القبائل فيها وناظرهم في هذه المسألة وأوكل لهذه المهمة يحيى بن خالد البرمكي الذي قال لهم وانتقدهم في مسألة الخراج بأنهم حين يأتي موعد الحصاد وجباية الغلات يقومون بوضع قصبه وفي رأسها خرقة "قطعة قماش قديمة" ويأخذون المحصول إلى بيوتهم ويقولون أن المارق أخذه "أي الخارج عن السلطة" وطلب منهم عدم المغادرة إلا في حسم هذه المسألة ودفع الخراج للدولة بالكامل وبدون تلاعب أو نقص(٤٤)، واضطر إلى حبس عدد منهم، ومن ثم إطلاق سراحهم والاتفاق معهم على دفع خراج الحنطة على الجريب الواحد من الحنطة سبعة دراهم ونصف وجريب الشعير خمسة دراهم(٤٥).

وفي سنة (١٧٧هـ/٨٢٤م) تحالف العطف بن سفيان الأزدي على هارون على الخليفة هارون الرشيد، وكان من فرسان أهل الموصل واجتمع إليه صعاليك الموصل فجبي الخراج وحبس العمال وكان معه أربعة آلاف ومنع عمال الخليفة هارون الرشيد من الجباية وجبي هو الخراج له، وكان من يعاونه من كبار القادة عبدالعزيز بن معاوية وبيرويه ومنتصر وغيرهم (٤٦).

وبقي العطف منتفذاً في مدينة الموصل لمدة سنتين لحين قدوم الخليفة هارون الرشيد إلى الموصل والقضاء على حركته وهدم سور المدينة من جرأ ذلك (٤٧).

وفي سنة (١٨١هـ/٨٢٨م) ولي الخليفة هارون الرشيد يحيى بن سعيد الحرشي - الحرب والخراج في الموصل وعزل محمد بن العباس عن ولاية الموصل ومنجاب عن خراج الموصل وصادر ضياع العطف ومعاونه بيرويه ومنتصر وضبعة العطف في بابودي وضمها إلى ارض الصوافي التابعة للدولة العباسية وبقية إلى نهاية الدولة العباسية (٤٨).

وضم إليها ضبعة بيروية ومنتصر في الناعور وغيرها من الضياع وتعامل معاملة الضياع التابعة للخلافة العباسية (٤٩).

والملاحظ أن يحيى بن سعيد الحرشي والي الموصل في عهد الخليفة هارون الرشيد قد استعمل القسوة في جباية الخراج وطالب اهل الموصل بخراج سنتين "أي السنوات التي جباها العطف" مما اضطر قسم كبير من الفلاحين إلى ترك ديارهم وأراضيهم لعدم قدرتهم دفع ذلك فهاجر كثير من أهل الموصل إلى منطقة انزيبجان (٥٠) ومنهم أهل باسحاق (٥١) من بني الحارث بن كعب وخربت المدينة التي كانوا فيها (٥٢).

وخربت مدن أخرى من اطراف الموصل مثل اهل القادسية من رستان الخازر، وأهل سطرنييه ونسترياذ وهاعلة وباتلى وغيرها من القرى فلم تعمّر بعدها (٥٣). ولهذا السبب ضرب الناس في الموصل مثلاً مشهوراً فقالوا "لم يرضوا بمنجاب فجاءهم الحرشي" (٥٤).

وذكر أحد المعاصرين للأحداث أن الحرشي جبي من أهل الموصل "٦ مليون درهم فحملها إلى الخليفة هارون الرشيد في مدينة الرقة (٥٥) فامر الخليفة بدفعها إلى جاريته "خالصة" فلما بلغ ذلك والي الموصل "الحرشي" قال : "إن الله وإنا إليه راجعون" هلك الناس والصبيان على يديّ وتدفع هذه الأموال إلى مملوكه فعلمت بذلك فلم تقبلها شهراً كاملاً (٥٦)، وهناك رواية نشك في صحتها أن هذه الجارية اشترت بقسم من هذه الأموال جوهرًا نفيساً

وسحق في هاون وأحضرتة "أي والي الموصل يحيى بن سعيد الحرشي" فنفخ في لحيته ولهذا قال الشاعر:

لقد ضاع شعري على بابكم كما ضاع درُّ علي خالصة^(٥٧).

ومثل هذا العمل لا نعتقد أن خليفة مثل الرشيد يقبله، وليحيى بن سعيد الحرشي قصر في لَجَف (٥٨) سور نينوى قريب من الكار الأعلى (٥٩)، ويذكر الازدي أن نفراً بالموصل من ولده حاكمه وهو من أهل خراسان ويعرفون ولده بالحرشيون (٦٠). وتعدّ قوائم الخراج ذات أهمية كبيرة في إعطائها معلومات عن الخراج في العراق بصورة عامة والموصل والجزيرة بصورة خاصة وتطور جباية الخراج ومقداره في العصر العباسي والظروف السياسية والاقتصادية في ذلك الوقت، وهذه القوائم هي:

١. قائمة خليفة بن خياط "ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م"^(٦١).
 ٢. قائمة البيعقوبي "ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م" في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان^(٦٢).
 ٣. قائمة الجهشياري "ت ٣٣١هـ / ٩٤٢م" أيام الخليفة هارون الرشيد^(٦٣).
 ٤. قائمة قدامة "٣٢٠هـ / ٩٣٢م" أيام الخليفة المعتصم بالله^(٦٤).
 ٥. قائمة ابن خلدون "ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م" أيام الخليفة المعتصم بالله^(٦٥).
 ٦. قائمة ابن خرداذيه "ت ٣٠٠هـ / ٩١٢م" فترة التسع سنوات^(٦٦).
 ٧. قائمة الصابي "ت ٤٤٨هـ / ١٠٥٦م" أيام الخليفة المقتدر بالله^(٦٧).
 ٨. الأزدي "ت ٣٣٤هـ / ٩٤٥م" أيام الرشيد وخراج الموصل^(٦٨).
- ولعل سبب قلّة هذه القوائم هو حرق الدواوين المركزية في بغداد أيام الفتنة بن الأمين والمأمون وقد حرقت سجلات الدولة ومن ضمنها خراج الدولة لسنوات متعاقبة^(٦٩). أما في فترة التغلب البويهبي فلم تكن هناك دواوين وسجلات للخراج أصلاً فيذكر مسكويه أن الدواوين أبطلت أصلاً لأن الدولة وجدت نفسها أمام ندرة النقد أن توزع الأراضي الزراعية بشكل إقطاع عسكري، حيث خصصت لكل فرقة عسكرية اراضي معينة اخذ منها خراجها كرواتب لهم^(٧٠).

وفيما يلي مقدار خراج الموصل والجزيرة في هذه القوائم :

ت	قوائم الخراج	مقدار خراج الموصل والجزيرة وأعمالها
١.	اليعقوبي	٤ مليون درهم خراج الموصل ^(٧١) لم يذكر خراج الجزيرة
٢.	الجهشياري	٢٤ مليون درهم الموصل ^(٧٢) ٣٤ مليون درهم الجزيرة
٣.	ابن خلدون	٢٤ مليون درهم الموصل ^(٧٣) ٣٤ مليون درهم الجزيرة
٤.	ابن قدامة	أعمال الموصل : كورة الجزيرة وكورة نينوى وكورة المرج واقليم باعزرى والحديثة وحزة ولهدرا والمغلة وحبتون والحناية يساوي: ٦,٣٠٠,٠٠٠ مليون درهم ^(٧٤) . ديار ربيعة وكورها بلد وبصربايا ونصيبين ودارا وماردين وكفر توثا وسنجان وراس العين والخابور يساوي : ٤,٦٣٥,٠٠٠ مليون درهم ^(٧٥) . قردي وبازيدي وفيها جبل الجودي وقصبتها جزيرة ابن عمر يساوي : ٣,٢٠٠,٠٠٠ مليون درهم ^(٧٦) . كورتا ازن مياقارقين تساوي : ٤,١٠٠,٠٠٠ مليون درهم ^(٧٧) . شهرزور والصافعان وداراباذ تساوي: ٢,٧٥٠,٠٠٠ مليون درهم ^(٧٨) . تكريت والطيرهان والسن والبوازيح تساوي: ٧,٠٠٠,٠٠٠ مليون درهم ^(٧٩) .
٥.	ابن خردادبة	٤ مليون درهم خراج الموصل واعمالها ^(٨٠) ٧,٧٠٠,٠٠٠ مليون درهم خراج ديار ربيعة
٦.	الأزدي	٦,٠٠٠,٠٠٠ مليون درهم الموصل ^(٨١)

جباها الحرشي والي الموصل سنة ١٨٠هـ/٨٢٧م		
٤,٠٠٠,٠٠٠ مليون درهم الموصل بما فيها ^(٨٢) الطيرهان، السن، حديثة، مرج جهينة، نينوى، باجلي، المرج، بانهدرا، باعذرى، حسن، بانقلى، حزة بانعاش، المعلى، رامين، الحناية، باجرمي، وبابغيش داسن، كفر كزى. ٧,٧٠٠,٠٠٠ مليون درهم ديار ربيعة ونصيبين وآرزن وآمد ورأس العين وميفارقين ^(٨٣) .	ابن الفقيه الهمداني	٧.

وعند قراءة هذه القوائم نلاحظ أن هنالك اسم تقارب في زمنها وتقارب أيضاً في قيمة الخراج بالنسبة للموصل ومنطقة الجزيرة، فقائمة اليعقوبي يرجع تاريخها إلى زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان.

أما قائمة قدامة بن جعفر فيرجع زمنها إلى عصر الخليفة المأمون فنلاحظ أن خراج الموصل والجزيرة عال جداً مقارنة بقائمة ابن خرداذبة^(٨٤) وهذا راجع إلى الاستقرار السياسي للبلاد، فعصر الخليفة المأمون يمثل قمة الاستقرار السياسي للبلاد، أما فترة التسع سنوات فتعد من أكثر الفترات اضطراباً من الناحية السياسية والاقتصادية وكادت الخلافة العباسية أن تسقط فيها^(٨٥).

أما قائمة الجهشياري فهي مهمة بالنسبة للعصر العباسي والتي يرجع زمنها إلى عصر الخليفة هارون الرشيد، ويبدو من القائمة زيادة كبيرة في خراج والجزيرة مقارنة مع المناطق الأخرى^(٨٦) من العراق، ويستنتى هذا سنة ١٨٠هـ/٨٢٧م، حيث بلغ خراج الموصل ٦,٠٠٠,٠٠٠ مليون درهم جباه والي الموصل الحرشي، وذلك لأن تغلب العطف على الخراج ومنعه من وصوله إلى الخلافة فنقص بذلك مما اضطر الوالي إلى المطالبة بخراج سنتين^(٨٧).

أما قائمة ابن خلدون فهي تقترب وتشابه قائمة الجهشياري ويرجع زمنها إلى عهد الخليفة هارون الرشيد، وتقترب من قائمة قدامة في عصر المأمون^(٨٨). ونلاحظ بصورة عامة أن معدل جباية الخراج في العراق بصورة عامة والموصل والجزيرة بصورة خاصة يمثل المعدل الاعتيادي في حالة الاستقرار السياسي والاقتصادي، وهذا يتغير ويهبط في سنوات الاضطراب السياسي والاقتصادي، ونلاحظ أن مقدار جباية الخراج في المنطقة ظل ثابتاً إلى حد ما إلى نهاية القرن الرابع الهجري^(٨٩).

ونلاحظ في القوائم أن موارد الخراج من العراق كانت تجبى بالدرهم بينما موارد في الشام كانت تجبى بالدينار وكان سعر التبادل هو عشرة دراهم لكل دينار بعد الفتح الإسلامي(٩٠).

وقد تبين لنا من خلال هذه القوائم مقدار التناقص في الخراج ومدى علاقته باستقلال الأطراف عن جسم الدولة العباسية، فالخراج أيام الخليفة الرشيد بلغ أكثر من (٥٣٠ مليون درهم)(٩١)، أما في عصر المأمون فبلغ أكثر من (٣٩٦ مليون درهم)، ووصل في عهد الخليفة المعتمد بالله (٣٨٨ مليون درهم) وفي فترة التسع سنوات وما بعدها إلى (٢٩١ مليون درهم)، وتناقص بشكل كبير في عهد الخليفة المقتدر بالله سنة (٣٠٦هـ/٩١٨م) وحصل إلى (١٤ مليون درهم)(٩٢)، ولعل السبب في ذلك هو انفصال كثير من الأقاليم عن الدولة العربية الإسلامية، ولم يبق لها سوى ما جاور بغداد وجزء من السواد(٩٣).

ورافق انخفاض موارد الخراج زيادة شديدة في الأسعار إذ كانت تزداد موارد الجباية بصورة مضاعفة حتى تستطيع الدولة أن تغطي نفقاتها والتزاماتها لتتغلب على فرق الأسعار، وزيادة رواتب الجند والموظفين، ولكن الذي حدث هو انخفاض الجباية وتضخم الجهاز الحكومي وزادت الأسعار(٩٤).

وكذلك غير أن قوائم الخراج إنها لا تقتصر على المبالغ النقدية التي تفرض على الأراضي الزراعية فحسب، وإنما كانت هناك موارد أخرى تقدم كهدايا نقدية وعينية، وأظهرت لنا قوائم الخراج شهرة بعض الأقاليم ببعض الصناعات والمحاصيل الزراعية والحيوانية، فاشتهرت مدينة الموصل بإنتاج العسل الأبيض، حيث بلغ ما دفعته الموصل في قائمة الجهشباري (٢٠) ألف رطل(٩٥)، مع الخراج(٩٦).

الهوامش:

- ١- سورة المؤمنون، آية ٧٢.
- ٢- سورة الكهف، آية ٩٤.
- ٣- الجامع لأحكام القرآن : ١٢/١٤١-١٤٦.
- ٤- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ١٤٦. للمزيد انظر غيداء خزنة كاتبي، الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى اواسط القرن الثالث الهجري والممارسات النظرية، ص ١٠٠-١٠١.
- ٥- ابن ماجة، سنن ابن ماجة : ٧٥٣/٢.
- ٦- النسائي، كتاب السنن الكبرى : ٣٥/٧.
- ٧- أبو يوسف، الخراج، ص ٧٢.

- ٨- البلاذري، فتوح البلدان، ص٧٧، غيداء خزنة كاتبي، الخراج منذ الفتح الإسلامي حتى أواسط القرن الثالث الهجري- الممارسات والنظرية، ص١٠١-١٠٢.
- ٩- أبو يوسف، الخراج، ص٢٥.
- ١٠- المصدر نفسه، ص٢٣.
- ١١- الأحكام السلطانية، ص ١٤٦، ابن منظور لسان العرب : ٢/٢٥٢، للمزيد انظر : غيداء خزنة كاتبي، الخراج منذ الفتح الإسلامي، ص١٠٢.
- ١٢- أبو يوسف الخراج، ص١١١، احمد الصوفي، خطط الموصل : ٢/٧٩.
- ١٣- صالح احمد العلي، الخراج في العراق، ص١٩٧.
- ١٤- الجريب : كمقياس للأرض يساوي في أوائل العصور الوسطى ٢م١٥٩٢، فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٩٦.
- ١٥- الففيز : كمقياس للأرض يساوي ٢م١٥٩٢، فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية، ص ٩٨.
- ١٦- أبو يوسف، الخراج، ص١١١.
- ١٧- المصدر نفسه، ص١١٤، ١١٥، صالح أحمد العلي، الخراج في العراق، ص٢٠٩-٢١٠.
- ١٨- الدوالي : وهي عبارة عن جذع طول في رأسه مغرفة كبيرة بوساطتها يتم اخذ الماء، ابن سيده، المخصص : ٩/١٦٢.
- ١٩- الخراج، ص٧٥؛ صالح احمد العلي، الخراج في العراق، ص٢١١.
- ٢٠- الدواليب: وهي عجلة مائية شبيهة بالناعور إلا انه اكثر تعقيداً وهو نوعان : الأول يديره ثور واحد والثاني يديره ثوران، الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص٦٢.
- ٢١- النواضح : ما يسقي بالسواني وهي الجمال، الفيروزآبادي، القاموس المحيط : ١/٢٣٥، أبو يوسف، الخراج، ص٥٠.
- ٢٢- أبو يوسف الخراج، ص١١٤-١١٥. للمزيد انظر، صالح احمد العلي، الخراج في العراق، ص٢١٠.
- ٢٣- الخراج، ص٥٩-٦٠؛ للمزيد أنظر : صالح احمد العلي، الخراج في العراق، ص٢١٠.
- ٢٤- صالح احمد العلي، الخراج في العراق، ص٢١١.
- ٢٥- نفسه.
- ٢٦- الخراج، ص٥٩.
- ٢٧- صالح احمد العلي، الخراج في العراق، ص٢١١.
- ٢٨- رأس العين : وهي مدينة كبيرة مشهورة من مدن الجزيرة بين حرّان ونصيبين وخنيسر وفيها عيون كثيرة عجيبة صافية تجتمع كلها في موضع واحد فتصب في الخابور، ياقوت الحموي، معجم البلدان : ٣/١٣-١٤.
- ٢٩- البلاذري، فتوح البلدان، ص١٨٢، قدامة بن جعفر، الخراج، ص٣١٥. للمزيد انظر : محمد جاسم المشهداني، الجزيرة الفراتية والموصل، دراسة في التاريخ السياسي والاداري، ص٢٠٥-٢٠٨.

- ٣٠- نصيبين : وهي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل بين الموصل والشام، وفيها عدة بساتين، بينها وبين الموصل ستة ايام، ياقوت الحموي، معجم البلدان : ٢٨٨/٥.
- ٣١- اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي : ٢٢٢/٢، المشهداني، الجزيرة الفراتية والموصل، ص ٢٠٨-٢٠٩.
- ٣٢- ديار ربعة : بين الموصل إلى راس عين نحو بقعاء الموصل ونصيبين ورأس عين ووتيسر والخابور جميعه وما بين ذلك من المدن والقرى وربما جمع بين ديار بكر وديار ربعة وسميت كلها ديار ربعة، ياقوت الحموي، معجم البلدان: ٤٩٤/٢.
- ٣٣- الأزدي، تاريخ الموصل، ص ١٥٧، جاسم صكبان علي، الحياة الريفية في الجزيرة الفراتية في القرن الأول الهجري، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٦، ١٩٨٥، ص ١٥٣، غيداء خزنة كاتبتي، الخراج منذ الفتح الإسلامي، ص ٣٢٤-٣٢٦.
- ٣٤- احمد الصوفي، خطط الموصل : ٧٨/٢.
- ٣٥- الازدي، تاريخ الموصل، ص ٢٢٧، فاروق عمر فوزي، موسوعة الموصل، ص ٧٣.
- ٣٦- المصدر نفسه، ص ٢٠٢، غيداء خزنة كاتبتي، الخراج، ص ٢١٧.
- ٣٧- المصدر نفسه، ص ٢٩٣، عبدالمجود احمد السلطان، الموصل في العهدين الراشدي والأموي، ص ٩٢.
- ٣٨- أبو يوسف، الخراج، ص ٣٩.
- ٣٩- احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ٧٨.
- ٤٠- الأزدي، تاريخ الموصل، ص ١٥٢-١٦١.
- ٤١- غيداء خزنة كاتبتي، الخراج منذ الفتح الإسلامي، ص ٢١٧.
- ٤٢- تاريخ الموصل، ص ٢٧٥-٢٧٦.
- ٤٣- الازدي، تاريخ الموصل، ص ٥٧٥-٥٧٦.
- ٤٤- المصدر نفسه، ص ٢٧٩-٢٨٠.
- ٤٥- نفسه، للمزيد انظر، سوادى عبد محمد، الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية، ص ٤٥٢-٤٥٨.
- ٤٦- نفسه.
- ٤٧- نفسه.
- ٤٨- المصدر نفسه، ص ٢٨٧.
- ٤٩- نفسه.
- ٥٠- أنريجان : معناها بيت النار، وهو اقليم واسع ومشهور ومداينها تبريز وتسنقل ببلاد الدليم، الغالب عليها الجبال، بلد واسع، ياقوت الحموي، معجم البلدان : ١٢٨/١.
- ٥١- باسحاق : من قرى الموصل، وهي مدينة من نواحي نينوى شرقي دجلة، وتسمى حالياً (باعشيقا)، ياقوت الحموي، معجم البلدان : ٣٢٤/١.
- ٥٢- الازدي، تاريخ الموصل، ص ٢٨٧.
- ٥٣- المصدر نفسه، ص ٢٨٧.
- ٥٤- نفسه.
- ٥٥- الرقة : مدينة مشهورة على الفرات بينها وبين حران ثلاثة ايام معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي، ياقوت الحموي، معجم البلدان : ٥٨/٣-٥٩.

- ٥٦- الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٢٨٨.
- ٥٧- نفسه.
- ٥٨- لطف : معناه سرّة الوادي، الفيروزآبادي، تاج العروس، ٦/٦٣٦.
- ٥٩- الكار الاعلى : قرية مقابل الموصل من شرقيها قرب دجلة ينسب اليها أبو محمد الفتح بن سعيد الكاري الزاهد، ياقوت الحموي، معجم البلدان : ٤/٤٢٨.
- ٦٠- الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٢٩٣.
- ٦١- تاريخ اليعقوبي : ٢/١٦٩.
- ٦٢- تاريخ خليفة بن خياط، ص ٧١، تحسين حميد مجيد، دراسة لقوائم خراج الدولة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن الرابع، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٦، ١٩٨٥، ص ١٠٢-١٠٣.
- ٦٣- الوزراء والكتاب، ص ٢٨٨-٢٩٠.
- ٦٤- الخراج وصناعة الكتابة، ص ٢٥٠-٢٥٢. للمزيد انظر : غيداء خزنة كاتبي، الخراج منذ الفتح الإسلامي، ص ٢١٦-٢٢٠.
- ٦٥- المقدمة، ص ١٧٩-١٨١.
- ٦٦- المسالك والممالك، ص ٢٤٩-٢٥٠.
- ٦٧- رسوم دار الخلافة، ص ٢٢-٢٣.
- ٦٨- تاريخ الموصل، ص ٢٨٧.
- ٦٩- تحسين حميد مجيد، دراسة لقوائم خراج الدولة العربية الإسلامية إلى نهاية القرن الرابع، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٦، ١٩٨٥، ص ١٠٢.
- ٧٠- تجارب الامم : ٢/٦٩-٧٠.
- ٧١- تاريخ اليعقوبي : ٢/٢٣٣-٢٣٤.
- ٧٢- الوزراء والكتاب، ص ٢٥٤.
- ٧٣- المقدمة، ص ١٥٦-١٨٠.
- ٧٤- الخراج وصناعة الكتابة، ص ٢٤٠-٢٤٦ ؛ للمزيد انظر : غيداء خزنة كاتبي، الخراج منذ الفتح الإسلامي، ص ٢٢٥.
- ٧٥- نفسه
- ٧٦- نفسه
- ٧٧- نفسه
- ٧٨- نفسه
- ٧٩- نفسه
- ٨٠- المسالك والممالك، ص ٧، ١٤، ١٥، ٥٩.
- ٨١- تاريخ الموصل، ص ٢٨٧.
- ٨٢- مختصر كتاب البلدان، ص ١٣١-١٣٣.
- ٨٣- نفسه
- ٨٤- المسالك والممالك، ص ١٤، ١٥.
- ٨٥- فاروق عمر فوزي، عصر الفوضى العسكرية، ص ٣٩، تحسين حميد، دراسة لقوائم الخراج، المؤرخ العربي، العدد ٢٦، ص ١٠٢.

- ٨٦- الوزراء والكتاب، ص ٢٥٤.
- ٨٧- الأزدي، تاريخ الموصل، ص ٢٨٧.
- ٨٨- المقدمة، ص ١٥٦-١٨٠.
- ٨٩- جهادية القره غلي، العقلية العربية، ص ١١٠.
- ٩٠- المرجع نفسه، ص ١١٠-١١١.
- ٩١- تحسين حميد، دراسة لقوائم خراج الدولة العربية الإسلامية، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٢٦، ص ١٠٣.
- ٩٢- المرجع نفسه.
- ٩٣- نفسه.
- ٩٤- نفسه.
- ٩٥- رطل : أي يساوي ٨١٢,٥ غم في هذا العصر، فالتر هنتس، المكايل والأوزان الإسلامية، ص ٣٠.
- ٩٦- الوزراء والكتاب، ص ١٠١، تحسين حميد، دراسة لقوائم الخراج، ص ١٠٤، احمد الصوفي، خطط الموصل: ٨١/٢، جهادية القره غلي، العقلية العربية، ص ١٠٩.